قبور العظماء في دمشق

مقدمة

درجت جميع أمم الأرض منذ الأزمنة القديمة على تمجيد عظمائها وأبطالها وتخليد ذكراهم بعد موتهم ، حتى بلغ الأمر عند بعض الأمم درجة تقديسهم وعبادتهم .

واليوم تحرص جميع البلدان الراقية على اقامة مقابر خاصة بالعظماء الذين أخلصوا لبلادهم وضحوا في سبيلها بأرواحهم أو سخروا سيوفهم وأقلامهم في سبيل خدمة أمتهم والرفع من شأنها .

ان تخليد ذكرى هؤلاء العظماء يقيم الدليل أمام المواطنين على أن الأمة لا تنسى أبناءها المخلصين العاملين ، وتحفز المواطنين كي يقتدوا بهم ويسيروا على نهجهم . ولا تخلو أمة من أمثال هؤلاء العظماء الذين يجود بهم الزمان من حين لآخر .

وقد عرفت دمشق كثيراً من الشخصيات التاريخية وضم ثراها رفاة عظماء وشهداء أقيمت لبعضهم المدافن اللائقة التي تخلد ذكراهم وأهمل البعض الآخر فاندثرت قبورهم . وشاب بعض هذه الأضرحة مزاعم خاطئة ونسبت لأشخاص دون أساس صحيح ، وقد رأيت من المفيد في هذا الظرف الذي تهتم فيه الدولة باقامة النصب التذكارية والأضرحة لعظماء البلاد أن ألفت الأنظار الى مجموعة من العظماء المدفونين حقاً في دمشق خلال عصور التاريخ . مصنفاً اياهم الى الطبقات التالية :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ — طبقة الملوك والسلاطين .

٢ — طبقة الأمراء والولاة .

٣ — طبقة الصحابة .

٤ — طبقة آل البيت .

٥ — طبقة العلماء .

ذلك ان في التاريخ عهوداً مضيئة تحفل بالأمجاد ومشاهير الرجال وأخرى مظلمة يختفي فيها العظماء ، وما أكثر العهود المظلمة التي عاشتها دمشق وأقساها ، حين كانت فريسة الفوضى والفتن أو طعمة للغزاة أو نهباً للحكام الظالمين ، في عهد الفاطميين وأغلب عهد المماليك ثم في أيام الحكم العثماني والاستعمار الغربي .

وخلال تلك العصور كلها فترات ثلاث تألق فيها نجم دمشق وغدت مركز اشعاع لسائر العالم العربي والاسلامي بما نالته من نهضة وعزة وحياة حرة كريمة على يد رجالاتها .

وتكاد هذه الفترات الثلاث تتوزع توزيعاً عادلاً بين القرون الثلاثة عشر من تاريخها العربي .

كانت الفترة الأولى في فجر هذا التاريخ أيام الدولة الأموية . وكانت الثانية في أواسطه ، أيام نور الدين وصلاح الدين . والفترة الأخيرة هي في هذا العصر الذي نعيشه فترة الثورة على الأجنبي الدخيل والكفاح من أجل الاستقلال والحرية واقامة أسس الوحدة العربية .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أ ـــ طبقة الملوك والسلاطين

١ ـــ معاوية بن أبي سفيان :

مؤسس الدولة العربية في الشام وأحد صحابة الرسول (ﷺ) وكتبة الوحي ، اشترك في الفتوحات مع أخيه يزيد بن أبي سفيان وأبلى بلاءً حسناً ، ينسب اليه فتح قيسارية أكبر مدن فلسطين عام ١٨ أو ١٩ وولاه عمر الشام بعد وفاة أخيه يزيد عام ١٨ وظل في ولايته لها حتى أصبح خليفة المسلمين بعد معركة صفين عام ٤٨ للهجرة حتى توفاه الله في دمشق سنة ٦١ هـ وكان قد بلغ من العمر سبعاً وثمانين سنة .

أما قبره فقد اختلف الناس فيه فبعضهم يقول بأنه ضاع وزال أثره إثر الانقلاب العباسي وانتقام بني العباس من الأمويين أحياء وأمواتاً . وينسب العامة اليوم لمعاوية ثلاثة قبور في دمشق ، إلا أن الثابت في المصادر العلمية والروايات التاريخية أن معاوية دفن في مقبرة الباب الصغير [1] .

ويشاهد اليوم قبره ضمن غرفة صغيرة من الطين حديثة البناء تقع في ركن المقبرة الجنوبي ، تلتصق بها قبور كثيرة بينها عدد قديم لمشاهير الرجال تدل عليها شواهد كتبت بخطوط كوفية .

وإذا صح ما ترويه المصادر عن نبش قبور بني أمية ، فليس ما يمنع أن يحتفظ الناس بمكان قبر معاوية اكراماً لمنزلته ، حتى أتى وقت خف فيه حقد العباسيين وقل نفوذهم في دمشق فأصبح من المتيسر إعادة قبره الى ما كان عليه وأقبلوا يخصونه بالزيارة والتبرك . ثم قدم أحمد بن طولون دمشق عام ٢٧٠ هـ فعمر

(١) راجع التحقيق الذي نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسني في مجلة المجمع المجلد ١٩ (١٩٤٤) ص ٤٣٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على قبره قبة عالية ، وزاره بعد ذلك المسعودي عام ٣٣٢ فقال « ان عليه بيتاً مبنياً يفتح كل يوم اثنين وخميس » . وهذا يدل دلالة أكيدة على احتفاظ الناس بقبر معاوية وعلو منزلته في قلوبهم رغم ما قام به العباسيون . ولعل هذا البيت الذي بناه ابن طولون ووصفه لنا المسعودي قد تهدم خلال أحداث التاريخ وتقلبات الدول ، ولكن في كل عصر كان قوم يحرصون على الابقاء عليه والإشارة اليه حتى بقي الى يومنا هذا على هيئته المتواضعة البسيطة . وقد ظهرت محاولات حديثة من قبل الغيورين لبناء ضريح عليه يليق بمكانة صاحبه وعظمته وفضله في إرساء قواعد الدولة العربية في بلاد الشام خاصة وفي العالم الإسلامي عامة .

٢ ـ الخلفاء الأمويون :

تولى الخلافة من البيت الأموي أربعة عشر أميراً مات بعضهم في دمشق ومات البعض الآخر في أماكن متفرقة فعمر بن عبد العزيز دفن في دير سمعان وهشام في الرصافة وسليمان في مرج دابق . . . وتذكر الروايات التاريخية عن ابن عساكر والمسعودي أن قبر عبد الملك في مقبرة الباب الصغير وكذلك قبر ابنه الوليد ويزيد بن معاوية . غير انا اذا فتشنا اليوم في هذه المقبرة لا نجد من الأمويين غير قبر معاوية الذي تكلمنا عنه وقبر عبد الملك الواقع على عدة أمتار الى الشمال الغربي من قبر معاوية في غرفة مهدمة من الطين تضم قبرين نسب أحدهما لعمر بن عبد العزيز ونسب الآخر الى عبد الملك . ونحن ننفي نسبة الأول الى عمر بعد أن أكدت الروايات دفنه في دير سمعان قرب حلب . ونرجح أن يكون لأحد خلفاء بني أمية ، ولعله الوليد الذي تذكر الروايات دفنه في هذه المقبرة والأمر يتطلب تحقيقاً أكثر دقة . أما القبر الثاني فيرجح أن يكون لعبد الملك بدليل اشارة المصادر التاريخية الى وجوده في هذه المقبرة ووجود كتابة كوفية على التابوت الحجري يرجع الى عدة قرون ، تؤيد ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأي حرج في اعتباره قبره حقيقة والعناية به تخليداً لذكراه بالرغم من احتمال وجود خطأ في تحديد مكان دفنه على وجه الدقة ، لأن تخليد ذكرى العظماء ببناء المقابر اللائقة بهم لن يكون من أجل ما تبقى من عظامهم ورفاتهم البالية بل من أجل أمجادهم وأعمالهم العظيمة .

٣ ـ محمود بن زنكي :

لم تعد دمشق مقراً للخلفاء والسلاطين بعد زوال الدولة الأموية حتى دخلها نور الدين في القرن السادس الهجري ، فهو أول من تسلطن فيها بعد تلك الحقبة الطويلة ولقب بالسلطان الملك العادل نور الدين ، محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر .

وكان تابعاً خليفة بغداد العباسي من الناحية الاسمية فقط . وكان حاكماً عادلاً مخلصاً لأمته وبلاده وقائداً بطلاً نذر نفسه للجهاد والدفاع عن البلاد من أخطار الصليبيين وعدوانهم ، ولذلك أحبه الناس وأشاد المؤرخون الذين عاصروه بأخلاقه ودينه وعدله وتواضعه وجهاده وحبه للعلم والعلماء وبناء المدارس والحصون .

ولد نور الدين محمود عام ٥١١ هـ بمدينة حلب حيث كان أبوه والياً عليها من قبل سلاجقة بغداد ثم خلف أباه عليها سنة ٥٤١ ثم ضم دمشق وسائر بلاد الشام الى مملكته عام ٥٤٩ وتوفي في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ هـ فدفن في تربة كائنة في ركن من أركان المدرسة النورية التي بناها في سوق الخياطين . ويبدو قبره لكل من يمر من هذا السوق من خلال نافذتين في تربة جميلة عالية القبة بسيطة المظهر ، ومن المستغرب أن ينسى الناس هذا الرجل العظيم ولا يحتفون به كما يحتفون بصلاح الدين ، مع أن نور الدين أستاذه ومؤسس دولته وواضع حجر الأساس في تحرير البلاد وتوحيدها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤ ـ يوسف بن أيوب :

هو صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي الملقب بالسلطان الملك الناصر ، ولد بتكريت عام ٥٣٢ ودخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي مع والده فبعثه مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر عام ٥٦٤ . فصار وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد ثم انفرد بحكم مصر وقضى على الخلافة الفاطمية عام ٥٦٦ ثم ضم الشام الى حكمه بعد وفاة نور الدين وبذلك وحد مصر والشام وأقام دولة تمتد الى ما وراء الجزيرة شمالاً والى البحر الهندي جنوباً وتونس غرباً والعراق شرقاً . وقضى حياته في محاربة الفرنج وتحرير البلاد من أيديهم الى أن توفي في قلعة دمشق عام ٥٨٩ فدفن بها ثلاث سنين ثم نقل الى حيث هو اليوم في تربة بناها له أولاده بعد موته وبنوا الى جوارها مدرسة سميت بالمدرسة العزيزية وقد تهدمت وبقيت التربة ذات القبة العالية وأحيطت في كل العصور بالعناية والرعاية فزينت جدرانها بألواح القاشاني عام ١٠٣٧ هـ .

وضع لقبره ضريح عند وفاته من خشب الجوز مزين بالنقوش الهندسية المحفورة تحيط به آية الكرمي بخط كوفي مزهر جميل ، كما صنع له تابوت جديد من الرخام عام ١٨٧٨ م في عهد السلطان عبد الحميد العثماني ، وقد فرشت دائرة الأوقاف أرضه بالسجاد وعينت له قيماً خاصاً به .

٥ ـ محمد أبو بكر بن أيوب :

هو الملك العادل سيف الدين محمد أبو بكر بن أيوب ، من أكبر شخصيات الدولة الأيوبية بعد أخيه صلاح الدين . اشترك معه في محاربة الفرنج وادارة البلاد . وكان المستشار والمضد الأيمن لأخيه ، ثم تولى السلطنة على دولة العرب في مصر والشام واليمن سنة ٥٩٦ بمعاونة أولاده عندما دب الخلاف بين أولاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلاح الدين ، ولم يبق بأيديهم سوى حلب . ثم توفي سنة ٦١٥ في قلعة دمشق فدفن فيها ريثما تم بناء تربته في المدرسة العادلية مقر المجمع العلمي اليوم . ودفن معه بعد ذلك ابن حفيده المغيث عمر سنة ٦٤٢ وكان نائباً لأبيه الصالح أيوب على دمشق حين استولى عليها عمه الصالح اسماعيل فأسر في القلعة ومات فيها .

٦ ــ الملوك الأيوبيون الأخر :

لم يمت في دمشق من أولاد صلاح الدين سوى الملك المنصور حسن الذي توفي في حياة أبيه سنة ٥٧٥ وقبره معروف في التربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة غربي المدرسة الشامية . وفي دمشق من أولاد أخيه العادل ثلاثة ملوك ، المعظم والأشرف والكامل .

أما المعظم فهو عيسى بن العادل ولد في القاهرة سنة ٥٧٦ وتولى دمشق لأبيه وحارب الفرنج ثم خلف أباه في السلطنة ومات في قلعة دمشق سنة ٦٢٤ ودفن بها ثم نقل الى مدرسة له تعرف بالمعظمية في الصالحية ، وقد تهدمت ودرست .

وأما الكامل فهو محمد بن الملك العادل تولى مصر في عهد أبيه ثم تسلطن بها ودخل دمشق وضمها الى ملكه ومات بها سنة ٦٣٥ ودفن في القلعة ثم نقل الى تربة أعدت له خلف جدار الجامع الأموي الشمالي شرقي خانقاه السميساطية تعرف بالتربة الكاملية ولها باب من الجامع يؤدي اليها .

وأما الأشرف موسى بن الملك العادل فقد تسلطن في دمشق أيضاً سنة ٦٢٥ ومات في قلعتها سنة ٦٣٥ ودفن بتربة تعرف بالأشرفية كائنة شمالي الجامع الأموي بين المدرسة الجقمقية والمدرسة العزيزية وقد تهدمت وأصبح في مكانها اليوم ملجأ ضد الغارات الجوية ولا يزال القبر ظاهراً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٧ ـ السلطان بيبرس :

هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أشهر سلاطين دولة المماليك وأول من وطد حكمهم في الشام بعد زوال دولة بني أيوب بدخول جيش هولاكو دمشق ، كان له فضل في النصر على التتار في معركة عين جالوت التي أدت الى طردهم من الشام وتوحيدها مع مصر من جديد . تولى السلطنة عام ٦٥٨ بعد مقتل سلفه السلطان قطز . قضى أكثر أيامه في محاربة الفرنج وتخليص ما تبقى من البلاد من أيديهم فحفلت أيامه بالانتصارات عليهم وخلد اسمه على أكثر من حصن وقلعة ومدينة . وقام بأعمال عمرانية كثيرة وتوفي سنة ٦٧٦ في القصر الأبلق الذي كان يقطنه في دمشق حيث تقع التكية السليمانية اليوم ودفن في المدرسة الظاهرية وتربته من أجمل التربب ذات قبة عالية مزينة بأصناف الزخرفة كالفسيفساء الزجاجية الملونة الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموي والرخام الملون والكتابات المذهبة وزخارف محفورة على الحجر ، وفيها محراب رائع ، وتعد أجمل تربة في دمشق وأغناها بالزخارف .

٨ ـ السلطان العادل كتبغا :

لم تعرف دمشق بعد السلطان الظاهر سلطاناً أقام أو مات فيها فقد استقر المماليك في القاهرة ولم يقيموا في دمشق إلا أياماً أو يزوروها إلا لماماً ، وكذلك سلاطين آل عثمان . سوى أن في المهاجرين مدرسة وتربة منسوبة الى أحد سلاطين المماليك ، هو الملك العادل زين الدين كتبغا تسلطن في القاهرة سنتين ثم خلع عام ٦٩٦ فالتجأ الى صرخد (صلخد) ثم أعطي حماة فمات بها ونقل ليدفن بتربته بسفح قاسيون الكائنة في الحديقة التي تضم ضريح الشهيد المالكي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ب — طبقة الأمراء والولاة

كثيرون هم القواد والولاة الذين ماتوا في دمشق ودفنوا في ثراها منذ بداية العهد العربي الى اليوم . وكان لأكثرهم بطولات وأعمال جليلة يستحقون معها أن تحفظ الأجيال ذكراهم ، إلا أننا مع ذلك لا نعرف قبراً واحداً لمن عاش منهم قبل العصر الأيوبي ، ولعل السبب في ذلك عدم اعارة الأوائل أهمية للقبور والمدافن كما حدث في العصور المتأخرة . وقد رأينا كيف تعرفنا بصعوبة زائدة على قبور قليل جداً من خلفاء بني أمية أنفسهم .

لذا لن يكون أمامنا من وفيات هذه الطبقة ممن نتحدث عنه قبل زمن الأيوبيين الملىء برجالات الدولة من قواد أبطال وولاة وأمراء . ولا غرابة في ذلك لأن زمنهم بعد الفترة المضيئة الثانية في تاريخ دمشق بعد الفترة الأموية كما ذكرنا في المقدمة .

١ — شاهنشاه بن أيوب : أخو صلاح الدين حارب مع نور الدين محمود بن زنكي واستشهد في احدى المعارك ضد الفرنج عام ٥٤٣ هـ ودفن في تربة أيوبية تعرف اليوم بالتربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة الى القرب من المدرسة الشامية .

٢ — توران شاه بن أيوب : أخو صلاح الدين وأكبر قواده فتح اليمن وولي دمشق لصلاح الدين عام ٥٧١ . توفي في الاسكندرية والياً عليها سنة ٥٧٦ فنقل جثمانه ليدفن في تربة أخيه الكائنة في المدرسة الشامية سنة ٥٧٨ .

٣ — فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب : ابن أخي صلاح الدين صار والياً على دمشق سنة ٥٧٦ وكان من كبار القواد والمجاهدين حارب الفرنج وأبلى بلاءً حسناً في موقعة مرج عيون ، وكان الى شجاعته عالماً كثير الأدب مطبوع النظم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والنثر وله أشعار كثيرة . لقب بعز الدين مات سنة ٥٧٨ والياً على دمشق فدفن في تربة تعرف بالفرخشاهية كائنة شمالي حديقة المنشية .

٤ — الملك الأمجد بهرام شاه بن فروخ شاه : ولاه صلاح الدين بعلبك بعد موت أبيه وكان شاعراً . اغتيل في دمشق ودفن في المدرسة الأمجدية المجاورة لتربة أبيه الفرخشاهية المتقدمة الذكر .

٥ — الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه : زوج ست الشام أخت صلاح الدين توفي سنة ٥٨١ والياً على حمص لصلاح الدين فدفنته زوجته في تربتها الكائنة في المدرسة الشامية في دمشق .

٦ — الأمير عز الدين ايبك : كان والياً على صرخد مدة طويلة توفي في الاسكندرية ونقل جثمانه ليدفن في مدرسته المعروفة بالعزية قرب مدرسة التجهيز الأولى .

٧ — الأمير حسام الدين محمد بن عمر (ابن ست الشام) : توفي سنة ٥٨٧ ودفن في تربة أمه الشامية البرانية المتقدمة الذكر . وهي تربة واسعة مزينة بزخارف ذات طابع أيوبي تضم عدة قبور للأمراء الأيوبيين وبينهم قبر ست الشام صاحبة التربة والمدرسة .

٨ — الأمير فخر الدين مركس أو جهاركس : أحد قواد الجيش الأيوبي كان نائباً على بانياس وتوفي سنة ٦٠٨ ودفن في تربته في المدرسة الجهاركسية الكائنة في العفيف .

٩ — الأمير فخر الدين ابراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم توفي سنة ٥٩٧ وكان والياً على قلعة بارين وعدة حصون توفي بدمشق ودفن بالمدرسة المقدمية خارج باب الفراديس في طريق مقبرة الدحداح ويطلق العامة على ضريحه خطأً ضريح طلحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٠ — الأمير غورلو : تولى نيابة السلطنة في دمشق عام ٦٩٥ هـ في عهد سلطان المماليك العادل كتبغا وتوفي سنة ٧١٩ ودفن في دمشق في تربة لا تزال باقية الى اليوم الى جانب جامع الحنابلة .

١١ — الأمير تنكز : تولى نيابة السلطنة في دمشق من عام ٧١٢ الى ٧٤٠ حيث اعتقل وأخذ الى الاسكندرية فقتل ثم نقل الى تربته التي شيدها الى جوار جامعه المشهور في دمشق .

١٢ — سيف الدين جقمق : تولى نيابة دمشق سنة ٨٢٢ وقتل في القلعة عام ٨٢٤ ودفن بتربته في المدرسة الجقمقية الى جوار باب الجامع الأموي الشمالي وهي من أجمل مدارس العصر المملوكي بهندستها وزخرفتها .

١٣ — درويش باشا : ولي دمشق في عهد السلطنة العثمانية عام ٩٧٩ هـ وكانت سيرته حسنة وقام بأعمال عمرانية كثيرة منها جامع الدرويشية الذي بناه سنة ٩٨٢ . توفي عام ٩٨٥ ودفن بتربته التي عمرها الى جوار جامعه .

١٤ — مراد باشا : تولى دمشق سنة ٩٧٦ فعمر الجامع المعروف حالياً باسم جامع النقشبندي في السويقة وتوفي في دمشق ودفن بتربته الى جوار الجامع المذكور .

م — طبقة الصحابة

يتناقل العامة ذكر عدد كبير من الصحابة ماتوا في دمشق أو استشهدوا عند الفتح ويشيرون الى قبور ومزارات نسب أكثرها خطأً اليهم . وكذلك تفعل بعض كتب التاريخ الضعيفة ، وهذا ما يجعل البحث عويصاً يحتاج الى كثير من المطالعة والدرس للوصول الى حقيقة مقبولة ، ولم يتأكد لدينا بعد الاستقصاء والتحقيق أكثر من قبرين لاثنين من الصحابة فقط ثبت موتهما في دمشق وتضافرت أكثر الروايات على تعيين مكان قبريهما وهما :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١ — بلال الحبشي : وهو بلال بن رباح من موالي قريش وأوائل الذين اعتنقوا الإسلام فعذبوا في سبيل الرسالة الجديدة . وهو أول من أذّن في الإسلام ثم خرج الى الشام مجاهداً بعد وفاة الرسول (ﷺ) فتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير حوالى ١٧ أو ٢٠ للهجرة ، وما يزال قبره معروفاً الى اليوم تحت قبة عالية عمرت في العهد العثماني ، وله ضريح من الخشب حديث الصنعة ركب فوق قبره الترابي القديم . وتذكر كثير من الروايات خطأ وجود قبره في مدن أخرى .

٢ — أبو الدرداء : عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري ، كان من أفاضل الصحابة ، ولاه عمر بن الخطاب القضاء على دمشق في عهد ولاية معاوية فكان أول قاض فيها ، توفي في خلافة عثمان حوالي سنة ٣٢ للهجرة ودفن في مقبرة الباب الصغير وظل قبره معروفاً يذكره الرحالة الى جانب قبر زوجته أم الدرداء . وقد عثرت دائرة الآثار عام ١٩٣٨ على شاهدتين احداهما تخص قبره والأخرى قبر زوجته مكتوبتين بخط كوفي يرجع الى القرن الرابع أو الخامس عثر عليهما مردومتين على بعد عشرين متراً الى الجنوب الغربي من قبر معاوية ، وهما محفوظتان في المتحف الوطني . ولأبي الدرداء مشاهد ومزارات في أماكن أخرى منها مقامه الكائن في قلعة دمشق الذي ذكره المؤرخ ابن طولون في الشعمة المضيئة في القرن العاشر الهجري .

وهناك قبور أخرى لعدد من الصحابة نشك في صحة نسبتها الى أصحابها ، ولعل السبب في إشاعة ذلك وادعائه التبرك بأكثر عدد من الصحابة وجعل دمشق تتقدم على غيرها في هذا المضمار . ومن هؤلاء نذكر :

١ — صهيب الرومي : له قبر في الميدان يطلق عليه الناس اسم سيدي صهيب ، ويربدون به الصحابي صهيب الرومي . وقد أجمعت أكثر الروايات على وفاته في المدينة سنة ٣٩ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ — أبي بن كعب : مات في المدينة أيضاً وله قبر عند باب شرقي خارج السور . وقد بني عليه جامع يرجع الى عام ١٠٣٠ هـ .

٣ — شرحبيل بن حسنة : أحد أمراء جيش الفتح الذين قدموا الى الشام مع أبي عبيدة ، مات في طاعون عمواس مع أبي عبيدة بن الجراح عام ١٨ وعمواس قرية بين الرملة والقدس في فلسطين حيث دفن أبو عبيدة ، ولا تشير رواية ما الى مكان قبره وأول من ذكر أن قبره في دمشق صاحب كتاب تحفة الأنام أمين البصروي من القرن العاشر الهجري ، وضريحه وضريح خولة بنت الأزور التي هي أيضاً لم يتأكد وصولها الى دمشق موجودان ضمن تربة واحدة يحويها مسجد بني عام ٩٠٩ هـ خارج باب توما .

٤ — ضرار بن الأزور : أحد الأبطال الكبار في صدر الإسلام اشتهر بجهاده في حروب الردة تحت قيادة خالد بن الوليد وقتل في هذه الحروب في اليمامة كما يذكر بعض المؤرخين أو في أجنادين أو في الكوفة كما يذكر البعض الآخر . إلا أن العمري صاحب مسالك الأبصار المتوفى سنة ٧٤٩ يذكر بأنه قتل أثناء فتح دمشق ، خلافاً لما ذكره الواقدي ، ودفن في القبر المنسوب اليه .

٥ — الصحابة السبعة في جامع الأقصاب : في هذا الجامع غرفة كتب عليها بخط حديث هذا مدفن سبعة من أصحاب رسول الله حجر بن عدي الكندي ورفاقه ، والثابت أن حجراً وأصحابه قتلوا بأمر معاوية وهم قادمون من الكوفة عند قرية عذراء سنة ٥١ هـ وذكرت أكثر الروايات بأن قبورهم هناك في عذراء .

٦ — صحابة جامع الشهداء : في الصالحية مسجد صغير يعرف بالشهداء فيه قبور ثلاثة من الصحابة هم حرملة بن وائل وجابر بن مسعود ومساعد ، ولا نعتقد بوجود أساس لصحة هذا الادعاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

د ـــ طبقة آل البيت

إن أكثر قبور آل بيت الرسول (ﷺ) رغم شهرتها وفخامتها لا تمت اليهم بصلة ، وهي قديمة في دمشق يذكرها الرحالة ويؤمها الزوار من كل مكان وخاصة الشيعة وأضرابهم . ولعل إقامة هذه المزارات يرجع الى عهد الحكم الفاطمي حيث اشتدت الدعوة لآل البيت والحماس لهم ولا غرابة لأن يتقبل الناس شيعة وغير شيعة مثل هذه البدع نظراً لمكانة الرسول العظيمة وكل ما يمت اليه بصلة ، وأصحاب هذه القبور هم :

١ ـــ سكينة بنت الحسين : توفيت في المدينة كما تذكر أكثر الروايات ولكن لها قبراً فخماً في مقبرة الباب الصغير عليه قبة ضخمة مفروشة بالسجاد مزينة بمختلف الهدايا والزخارف والضريح قديم مصنوع من الخشب المحلى بالزخارف المحفورة المخرمة والكتابات الكوفية ، ويرجح أنه صنع في العصر الفاطمي .

٢ ـــ فاطمة بنت الحسين : لها قبر في مقبرة الباب الصغير أيضاً وعليه قبة وضريح من الحجر عليه اطار من الكتابات الكوفية المزهرة بخط عريض جاء فيها :

« هذا قبر فاطمة ابنة أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت رضي الله عنها في رجب سنة ٤٣٩ ، ومعنى ذلك بأن صاحبة القبر ليست بنت الحسين كما يظن عامة الناس وانما هي واحدة تدعى فاطمة ماتت في القرن الخامس ربما كانت من آل البيت اذا صحت نسبتها الى بيت علي بن أبي طالب ، ومهما يكن فان قبرها محاط بالاحترام والتقدير من قبل طائفة الشيعة مما يظن معه بأنه حقاً قبر فاطمة بنت الحسين بن علي .

٣ ـــ زينب الصغرى بنت علي : وتلقب بأم كلثوم لها قبران في دمشق الأول في قرية راوية المعروفة حالياً بالست الواقعة الى الجنوب الشرقي من دمشق على بعد عدة كيلومترات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو مزار شهير محتفى به يؤمه الزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ويقدمون عنده النذور وحوله الأبنية لنزول الغرباء وعليه قبة ضخمة محلاة بالمرايا ضمن مسجد واسع ، وقد أهدته الحكومة الإيرانية حديثاً ضريحاً ثميناً من الفضة .

والقبر الآخر في مقبرة الباب الصغير في قبة خاصة به تضمه الى مقام الست سكينة . ورغم كل ذلك فنحن لا نعتقد بصحة نسبة هذين القبرين الى زينب بنت علي ابن أبي طالب لأن هذه ماتت في المدينة كما يقول المؤرخ عز الدين بن شداد . ويذكر صاحب كتاب أعلام النساء بأن قبرها بمصر عند قناطر السباع .

٤ — مشهد الحسين : كلنا يعلم بأن الحسين بن علي قتل وهو في طريقه الى الكوفة في معركة كربلاء سنة ٦١ ونقل رأسه الى دمشق ليراه الخليفة يزيد ابن معاوية . ويوجد للحسين مزارات كثيرة يطلق عليها اسم مشهد تشير الى قبره ، ولعل الأصح أن تعتبر نصباً تذكارية ، لأنه لا يعقل أن يدفن رأس الحسين أو جثته في عدة بلدان . له مشهد شهير في كربلاء حيث قتل يرجح أن يكون القبر الذي وارى جثته ، كما أن له مشهداً في جامع بني أمية في دمشق ، في مكان يطلق عليه اسم مشهد الحسين حالياً وقد أطلق عليه في القديم مشهد علي وكذلك مشهد زين العابدين (ابن الحسين) ، وله مشهد آخر في القاهرة . وتؤكد المصادر بأن رأس الحسين نقل الى دمشق ولكنها لا تشير الى مكان دفنه ، ثم تذكر بعض الروايات التاريخية حادثة نقل رأسه من دمشق الى المدينة في عهد يزيد وبعضها يذكر أنه نقل في العهد العباسي ، ويذكر البعض الآخر قصة نقله الى القاهرة في العهد الفاطمي .

٥ — الست رقية : في داخل باب الفراديس مسجد صغير فيه قبة يرجع عهد بنائها الى العصر الأيوبي تضم ضريحاً عليه قفص معدني جميل أهدي اليها من قبل الحكومة الباكستانية منذ سنوات ويظن الناس بأن هذا القبر لرقية بنت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرسول . ولكن هذه ماتت في المدينة وقبرها هناك ، فنسبة هذا القبر لها خطأ ولعله لواحدة من سلالة علي يهتم بها الشيعة .

٦ — أم حبيبة : هي زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبي سفيان لها قبر في مقبرة الباب الصغير عليه قبة صغيرة بنيت في عهد السلطان عبد الحميد العثماني . ولعل ما يجعلنا نقبل نسبة هذا القبر اليها ، ما ترويه المصادر من زيارة زوجة الرسول لأخيها معاوية في الشام ، وما ينقله ابن عساكر عن ابن الأكفاني خبر مشاهدة هذا الأخير قبرها فيما شاهد من قبور الصحابة والخلفاء في مقبرة الباب الصغير وذلك في القرن الخامس الهجري .

٥ — طبقة العلماء

كثيرون هم العلماء الذين اشتهروا في دمشق خلال العصور كقضاة أو محدثين أو مؤرخين أو أطباء أو صوفية الخ . . . وهم فوق الحصر والتعداد وأخبارهم تملأ كتب التراجم الا أن قبورهم ضائعة لا يعرف عنها سوى أنها في مقبرة الباب الصغير أو في سفح قاسيون أو الروضة أو مقابر الصوفية في الشرف القبلي (يعني منطقة الجامعة والمستشفى) أو مقبرة الدحداح خارج باب الفرادیس أو مقبرة الشيخ رسلان ، وقد اخترت من هؤلاء العلماء من تعرفت على قبره على وجه الدقة .

١ — ابن تيمية : هو تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي . لقب بشيخ الإسلام الفقيه العالم المجاهد ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير وتوفي بها سجيناً بقلعتها من قبل السلطان المملوكي في أيام ولاية تنكز نائب الشام سنة ٧٢٨ هـ . وقد احتفل أهل دمشق بجنازته احتفالاً لا يحظى به إلا العظماء القلائل . لقد خرج أهل دمشق نساء ورجالاً ومعهم أهل القرى والأطراف لتشييعه . صلي عليه في الجامع الأموي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأخرجت جنازته من باب البريد فلم يتمكن الناس من الخروج وراءها فتوزعوا على أبواب الجامع وضاقت بهم الطرقات فخرجوا من أبواب البلد جميعها ليتمكنوا من تشييع الجنازة الى مقرها الأخير في مقبرة الصوفية ، وقبره هناك معروف ومصان في حديقة تقع خلف دار التوليد .

٢ — ابن عساكر : هو علي بن الحسن بن القاسم الدمشقي محدث الشام ومؤرخها المشهور بمؤلفه التاريخي الضخم الذي وضعه قديماً في ثمانين مجلداً ، ولد عام ٤٩٩ ورحل كثيراً في طلب العلم ثم توفي في دمشق عام ٥٧١ ودفن بمقبرة الباب الصغير شرقي قبر معاوية . وقبره ضائع يحتاج الى شيء من التحريات للعثور عليه .

٣ — ابن كثير : هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الملقب بالحافظ الكبير من أبناء بصرى الشام ، قدم دمشق وعمره سبع سنوات فتعلم ونبغ في الحديث والفقه ، وله كتب كثيرة أشهرها كتاب في التاريخ سماه البداية والنهاية وضعه في أربعة عشر مجلداً ، ويعتبر من المصادر الهامة . ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٤٧ ودفن الى جانب أستاذه ابن تيمية وقبره هناك معروف .

٤ — محيي الدين بن عربي : هو أبو بكر علي الحاتمي الطائي الأندلسي المشهور بابن عربي ، ولد بمرسية في الأندلس سنة ٥٦٠ وساح في البلاد ومات في دمشق سنة ٦٣٨ ، وضع عدة مؤلفات في التصوف جعلته من أئمة المتصوفين والفلاسفة الإلهيين ، واختلف الناس فيه فبعضهم من أنكر عليه فلسفته وصفها ومنهم من رفعه الى مرتبة الأولياء . وقبره مشهور في الصالحية له مزار وقبة أمر ببنائها وبناء جامع الى جانبها السلطان سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ ، وتضم تربته قبور عدة أشخاص منهم الأمير عبد القادر الجزائري .

عبد القادر الريحاوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net